**العاقبة الأخلاقية للوحشية الإسرائيلية في غزة**

ما يجري في غزة من قتل للأطفال والنساء والمسنين والمدنيين العزل، يستدعي إلى ذهني قانون العاقبة الأخلاقية كناموس كوني قالت به جميع الملل والأديان والفلسفات، ففي الدين الإسلامي علمنا القرآن أن "من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" سورة الزلزلة؛ آية 7. ويقول الله تعالى في سروة مريم " وما كان ربك نسيا" الآية 64. إن الإنسان كما يدين يدان وأن الجزاء من جنس العمل وأن من يرتكب فعلا سيئا فلا بد يوما أن يلقى عاقبته عاجلا أو آجلا. وهذا القانون ليس حكرا على الإسلام، بل يتجذر في الفلسفة الكونية كالهندوسية والبوذية والطاوية ناهيك عن الديانات الكتابية التي سبقت الإسلام والتي تؤكد كلها على نفس المعنى.

وتعني الكارما (العاقبة الأخلاقية) جميع الأفعال التي يرتكبها الإنسان والعواقب الأخلاقية التي تنتج عنها. فكل عملٍ يقوم به الإنسان سواء أكان خيِّرا أو كان شّرا بصرف النظر عن مصدره لا بد أن تترتب عليه عواقب ما دام قام به الإنسان عن وعي وإدراك مسبق. وتأخذ هذه العواقب أشكالا عديدة وربما تشبه الدمامل التي تتجمع على جسم فتهلكه. كما أن نوايا فرد ما تؤثر عليه وعلى الحياة التي يعيشها. لا تعطي الأفعال الفاترة، أو الأفعال غير المتعمدة التأثير العاقبي( الكارمي) الإيجابي أو السلبي ذاته، الذي تعطيه الأفعال المعنيّة أو المتعمدة. ما نراه هذه الأيام من جرائم بشعة بحق الفلسطينيين في غزة وسكوت العالم وظهور كبار الساسة والمنظرين وهم يبررون بشاعة ما يحدث يظهر أن نهاية إسرائيل وشيكة جدا، لأن ما يقوم به جيشها من أعمال بشعة تتجاوز جميع الحروب التي عانى منها العالم شرقا وغربا. تجتمع جيوش الغرب بكل جبروت تكنولوجيا الحرب والدمار ويظهر قادة تلك الدول وحلفائها في قاعات الفنادق وعبر محطات التلفزة والإعلام الرقمي لتأكيد وتبرير قيامهم بتلك المجازر. لم يتعلم اليهود ابدا مما جرى لهم عبر التاريخ من أيام الفراعنة ومرورا بالسبي البابلي ولم يتعظوا مما جرى لهم مع سيدنا موسى عليه السلام، بل يمارسون القتل بكل سادية و عنجهية وكبرياء، ولم يتعظوا من محرقة الهولوكوست. أتخيل همجية المشهد لهؤلاء الذين يعتبرون الفلسطينيين حيوانات بشرية وينظرون إلى جميع الأمم باحتقار وازدراء والعالم يصفق لهم، كيف ستكون عاقبتهم وخيمة، كم سيقتلون من الأطفال والنساء والمدنيين الأبرياء؟! فليقتلوا ما يشاؤون لكن العاقبة التي تنتظرهم ستكون وخيمة. وترتبط بهذه الكارما بما حذر منه إيهود باراك رئيس وزراء إسرائيل السابق الذي حذر اليهود من عقدة الثمانين عاما، التي لاحقت اليهود عبر تاريخهم؛ فجميع دول إسرائيل التي قامت عبر التاريخ لم يزد عمرها عن 80 عاما، باستثناء فترتين؛ فترة الملك داود وفترة الحشمونيم. وكلاهما كانت بداية تفككها في العقد الثامن ولفت الانتباه إلى أن التجربة الحالية للدولة اليهودية الصهيونية هي الثالثة، وهذا يتوافق مع سنن الحضارات التي أشار إليها وحللها الفيلسوف الجزائري مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة فلكل دولة ثلاثة مراحل، تبدأ بالنشوء الأخلاقي والروحي ثم مرحلة الأوج الحضاري والعلمي وتنتهي بمرحلة أفول تلك الحضارة نتيجة ما يعتريها من ظلم وفساد وانهيار أخلاقي. ويبدو أن الكارما التي تلاحق كل ظالم على فعله قد حطت رحالها في إسرائيل التي ستكون عاقبتها وخيمة جدا.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية